صراع المثقف في الرواية الجزائرية المعاصرة

رواية الشمعة والدهاليز للطاهر وطار - أنموذجا-

The Intellectual's Struggle in Modern Algerian Novel

El Taher WATTER's The Candle and the Dark Corridors: a case study.

الدكتور :"هواوي تهيان.

قسم اللغة والأدب العربي- جامعة حمّة لخضر-الوادي- الجزائر.

houawinahyane@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2020/10/02 تاريخ القبول: 2020/11/20 تاريخ النشر: 2020/11/30

ملخص:

لقد عكست رواية الشّمعة والدهاليز للطاهر وطار طبيعة صراع المثقف داخل وسطه الاجتماعي ، وقد جُسِّد هذا الصراع من خلال الشّخصيات الرّوائية المتنافرة والمتناحرة داخل المتن الروائي، إذ صورت الرواية بصدق ذلك التشتت و الضياع الذي لحق المثقف من خلال **شخصية "الشاعر"** ؛ الذي وجد نفسه يعيش نوعا من الضّياع أمام جماعات تتبنى أفكار وأيديولوجيات مخالفة لمواقفه وآرائه وهو ما جعله ملاحقا ومهدّدا بالموت في كل مكان.

لقد استطاعت رواية "الشمعة والدهاليز" أن تعبّر عن المثقف الجزائري الذي أصبح يعيش في وطن غريب عنه ؛ مجتمع أصبح تحكمه فئات جماهيرية لا تقبل الحوار، فكان مصيره الموت وذلك لعدّة تهم وأسباب ألصقت به تهمة ليكون مصيره الموت في نهاية الرواية .

تروم هذه الورقة البحثية الكشف عن الحالة التي آل إليها المثقف الجزائري في فترة العشرية السوداء التي عدّت من أصعب الفترات التي عاشتها الطبقة المثقفة؛ فقد كانت من الفئات المستهدفة من قبل الجماعات الإرهابية التي حاول الوصول إلى السّلطة وأخذ زمام الحكم في فترة التسعينات.

الكلمات المفتاحية: أزمة المثقف-صراع المثقف – صورة المثقف -رواية الشمعة والدهاليز –الطاهر وطار.

Abstract:

In his novel the Candle and the Dark Corridors, El Taher WATTAR provided the readers with a comprehensive account of the nature of the struggle the Algerian intellectual was facing in his society. Thus, the struggle is expressed through the disagreement and the rivalry between the characters of the novel. For instance, the novel depicts vividly the loss and the distraction the Algerian intellectual was driven to through the character of the poet who found himself being distracted and lost in front of groups of people who espouse ideas and ideologies contrary to the Algerian intellectual's opinions and positions. Thus, he was being hunted and threatened with death everywhere.

El Taher WTTAR's novel the Candle and the Dark Corridors faithfully reflects the situation of the Algerian intellectual who had a feeling that he was living in a strange society governed by groups of people who refuse dialogue. Hence, the character of the poet portraying the Algerian intellectual's situation is doomed to die at the end of the novel for different reasons.

This research paper considers the situation the Algerian intellectual encountered during the dark decade when the intelligentsia was targeted by the terrorist groups who tried to hold the reins of power in Algeria in the 1990s.

Key Words: intellectual's crisis, intellectual's struggle, intellectual's image, the candle and the Dark Corridors, El Taher WATTAR.

تمهيد:

لقد صوّرت رواية "**الشمعة والدهاليز**" للطاهر وطار، الصّادرة سنة 1993 في متنها الروائي حقيقة الصراع الذي عاشته الجزائر في فترة التسعينيات ، وكتبت عن واقع الفرد الجزائري الذي وجد نفسه تائها في مجتمع لا يعترف بالقيّم الإنسانية ولا بالمستويات الثقافيّة و العلميّة، و هو ما عانته شخصية المثقف مجسدا في شخصية "**الشاعر**"- داخل الرواية، إذ لم يعد يقوَ على المجابهة ،وعدم قدرته على تغير الأوضاع السائدة داخل المجتمع ، وهو ما أفرز واقعا متأزّما انعكس على الحياة الاجتماعية والسياسية للمثقف داخل المجتمع الجزائري ،الذي أصبح يعيش حالة من التشظي والضياع داخل نسق ثقافي جديد أملته الظروف المفاجئة على الصعيدين السياسي والثقافي ، وعليه يتعين على الباحث أن يتوجه نحو إلقاء الضوء على

علاقة المثقف بالسلطة، للكشف عن طبيعة الصراع الحاصل بينها ، وكذا البحث عن تلك الجدلية القائمة بين المثقف والمجتمع .

ممّا لاشك فيه أن أي عمل أدبي يستهدف مقصدية ينشأ عن الرغبة في استشارة وعي المتلقي تجاه ما يتفق عليه من المضامين ؛ فطبيعة الصراعات تتجلى في العلاقات القائمة بين الوعي بالذات على مستوى الفرد ومجابهة الواقع على مستوى الجماعة- المجتمع- ،وهما عنصران يتبادلان مسألة التأثير والتأثر ، وبين أفق معرفي راهن يعارض مفهوم نسق ثقافي تقليدي قديم ، فمثلا : النسق الثقافي القديم الذي كان يعمل على بيع وشراء الناس وتحويلهم إلى عبيد قد تلاشى في الزمن الراهن لأن المنظومات الثقافية الحديثة أصبحت تعمل على نشر الوعي وتشجّع التعلم و تتخذ مبدأ المساواة بين كافة أفراد المجتمع ، ومن تمة أصبحت تظهر خطابات جديدة لفئات اجتماعية تحاول تبرير حقها في السلطة وذلك لإدارة شؤون الدولة والمجتمع وفق تصورات ومنطلقات فكرية تحدّدها برامجها الخاصة والهادفة إلى تغيير وتحسين ظروف الحياة الاجتماعية والسياسية في البلاد ، وترى بأن التوجه القديم لم يعد قادرا على مسايرة الأوضاع الراهنة ، فلذلك تدعو إلى نسق ثقافي ومعرفي جديد يلغي مبدأ المعرفة العقلانية و النسبة المرنة ، ويخرجها من سياق التاريخ إلى سياق الزمن والوقت الراهن الاجتماعي الذي تفرضه سياقات وظروف سياسية معينة .[1]

وعليه يتعين على الباحث أن يتوجه نحو إلقاء الضوء على علاقة المعرفة بالسلطة لتجلي حقيقة صراع المثقف داخل مجتمعه، وهذا ما ظهر عند الكاتب الجزائري الطاهر وطار في روايته" الشمعة والدهاليز" التي رسمت حقيقة الصراع الدائر في أوساط المجتمع الجزائري في تشكيلاته الثقافية والأيدلوجية المختلفة؛ وهو صراع أيديولوجي يدعو إلى أفكار ومعتقدات تسند على مبادئ تيار الفكر الاشتراكي الذي يرمي إلى تطوير المجتمع الجزائري ، وأفكار تستمد أصولها من التيارات الدينية، وعليه يصطدم البطل المثقف بوضع جديد ونسق ثقافي مختلف عن الذي كان يعيشه فهاهو بطل الرواية - **الشاعر**- يقف حائرا أمام ظاهرة توبة الشباب بهذه السرعة، و كيف ولوْ ظهورهم بدون مقدمات وبدون تنظير إلى الرجل الأوروبي « **هؤلاء جماهير، جماهير كادحة وسواء كانت على خطأ أم على صواب ، هل يجوز لمثقف مثلي ،كرّس حياته لخدمة الجماهير والدفاع عن قضاياها أن يقف ضدهم؟ ماذا يفعلون؟ بصدد ماذا هم الآن؟ هكذا نزعوا سراويلهم و ارتدوا الجلابيب،و أطلقوا اللحى واستسلموا لسراديب الماضي يمتصهم** ».[2] و في هذا المضمار تظهر قناعات الشخصية المثقفة-الشاعر- التي لا تؤمن بما تعيشه الطبقة العامة مع أن هذه القناعة لابد أن تكون لها مبررات « **إن الشخصية هنا**

بصدد اكتساب شعور ديني ، و هو الشعور الذي لم يكن متوفرا لديها في السّابق مع أنّ مثل هذه المشاعر لا تجد لها من سبيل للقناعة سوى الإيمان الفعلي بأهمية التحلي بها و حتمية تجسيدها في الواقع »[3]. تتجلى أزمة البعد الزمني المسيطر على مخيّلة الشاعر الذي انهزمت ذاته و ضاعت بين الأزمنة.« **إن ضياع ذات الشاعر داخل الرواية ، يظهر ضياع الهوية الوطنية و تمزق الذات و دخولها دهاليز اليتم و الاغتراب، وبهذه الصّورة يتمكّن البطل من رؤية هذه الحقوق على حقـــــيقتها »**[4] و هي تحولات ستخلق في ذهن الشاعر شرخا معرفيا مكّنه من الوقوف عند عمق الأزمنة الاجتماعية التي يعاني منها الشعب. « **وهذا ما يؤكد مدى تمسّك الرّوائي بالمنحى الاشتراكي ذي الأهداف الاجتماعية، و لهذا نستوعب جدا تعاطف البطل الاشتراكي مع الجماهير الشعبية، فهو يرى في هذا البديل الإسلامي خطوة إيجابية نحو معارضة السلطة »**[5] لذلك يجعل الطّاهر وطّار شاعره يدخل في صفهم لفهم ما يجري في أوساط هذه الجماعات يقول السّارد :« **تمنى لو يدخل وسطهم،و يندمج في جنهم مفسحا المجال للدهليز المظلم في أعماقه أن يتنور»**.[6] يطرح الكاتب من خلال شخصية بطله موقف المثقف تجاه هذه الحركة الشعبية الحاملة لمبادئ الدّين الإسلامي ليرصد حقيقة الأزمة السياسية وانعكاسها على وضعية المثقف في الجزائر « **لذلك يتخذ الروائي من حالات البطل المثقف و هو يعبر الأزمنة المعاصرة للدولة الوطنية المفجوعة بصدامية الحادثة التاريخية و تشنجها ، مركبة عبور دائمة يتلبس فيها الأقنعة المناسبة لهذه المراحل على مستوى السرد و يجعل من تمظهراته الوجودية طاقة إخفاء لتجلياته المستقبلية على الرغم من تغير الأزمة و تعاقبها ».**[7]

❖ **أزمة المثقف الجزائري في العشريّة السّوداء:**

تنطلق أسئلة الراهن للبحث عن مشروع السلطة في رواية **"الشمعة والدهاليز"** التي تلامس حدود الأزمة السياسية والثقافية من خلال مسيرة مثقف جزائري يمتلك ثقافة نقدية جعلته يعيد رسم خريطة الواقع الجزائري وفق قراءات سوسيولوجية حديثة ، لكن هذا الوعي لم يجد صداه داخل الوعي الذي وصل إليه المجتمع ، فيتحول البطل إلى ذات تائهة تبحث عن وجودها في زمن غير زمانها؛ زمن يشي بالتشظي والضياع" يقول السارد على لسان البطل :" **لن أموت من أجل الوطن الجزائري لأن هذا الوطن لا وجود له ، فإني لم أعثر عليه وسألت التاريخ وسألت الأحياء والأموات ، وزرت المقابر فلم يحدثني عنه أحد ، فلا يقام البناء على الريح "** [8] يعيش البطل مواقف وإشكاليات ثقافية تجعله يبحث عن الذات الباحثة عن الهوية الوطنية ؛ من أجل بناء هوية بواسطة الخطاب السرد ، فالزمن الروائي في النص هو زمن يؤرخ لفترة زمنية حقيقة عاشتها الجزائر؛ إذ يشير الكاتب للزمن الحاضر باللحظة التي يستيقظ فيها الشاعر،وهي اللحظة

التي يسمع فيها صوت المتظاهرين الإسلاميين « **استيقظ الشاعر مرعوبا على أصوات تمزق سكون الليل المجروح بالأنوار المنبعثة في الشوارع ، متفاوتة القوة و التقارب من شارع لآخر، تساءل بصوت عالٍ،رغم وثوقه من أنه لا يوجد تساؤل لأي شخص غيره، ذلك أنه وبكل بساطة لا يشاركه أحد في سكنه الكبير هذا ، وذلك منذ منح له ، كسكن وظيفي من العهد الذي يدرس فيه** »[9] وعندما اقترب من مدخل الحرّاش عرض عليه الملتحون مساعدتهم و طلبوا منه اصطحابه في السيارة وأثناء تلك رحلته مع هؤلاء الإسلاميين تحدث إلى نفسه وعادت به ذاكرته إلى الوراء لترصد أيام الماضي« **فالماضي هو الأكثر إثارة للجدل في الخطاب الروائي، وفيه ظهرت الجماعات الإسلامية التي تؤمن بقدرة الإسلام على إضاءة الدهاليز الكبيرة و العميقة أمام حالة التشرذم التي أصابت الشاعر**".[10]

لقد اقترح هؤلاء الشباب على الشّاعر أن ينضمّ إلى الحركة التي يدعونا إليها بقولهم :« **أنت رجل محترم، و ينذر أن يصادف المرء رجل مثلك ، و إن لم تخيب ظنون فيك،فإنك واحد مما تحتاج إليهم دولتنا الفتية ، نحن في حاجة إلى علماء مؤمنين، و يبدو أنك عالم و هذه الشجاعة لا تصدر إلا عن رجل قوي الإيمان،قوي الثقة بالله و بالنفس** ».[11] هذا الاقتراح جعل شخصية البطل- الشاعر – تعيش نوعا من الاضطراب النفسي وهو ما جعلها تدخل في عالم التشتت و الضياع إذ ينتهي إلى حالة من الأحلام و الهلوسة،إذ تختلط الأشياء في ذهنه فيرى الدم يملأ الحقول و يبرز صوت الخيزران؛ هذه المرأة التي يرتبط معها روحيا ؛ محاولا الهروب من الواقع المظلم الذي أصبح يعيشه « **وفي الحق يذكر أنه كان لديه وقت كاف لمثل هذه الفسحة الروحية** »[12]. يحاول الشاعر أن يفهم الحاضر والتاريخ و لكن دون جدوى، لتظهر لديه عدة تساؤلات :« **فمن أنت؟ هل أنت عزلتي و اغترابي،هل أنت ترددي و حيرتي،هل أنت الزمن الذي يفلت مني،هل أنت الوجه الذي لم يوهب لي؟ هل أنت العارم ابنة خالتي** »[13]. كلها تساؤلات تكشف عن حالة اللاّيقين التي وصل إليها الشاعر في زمنه الحاضر،بعد فقدانه لتوازنه الفكري و إصابته بحالة الضياع إلى جانب ذكريات الماضي القريب، و المتمثل في زمن الاستقلال لينجرّ شريط الذكريات و تظل حكايات الماضي« **إن الشعب الجزائري على خلاف باقي أشقائه في المشرق و المغرب، افتقد ومن عهد الأتراك الذين فرضوا عليه أن لا يتعدى مرحلة الإنسان المزارع،و بالتالي أن يبقى محصورا في الريف،يفلح الأرض و يرعى القطعان،ولا يسمحون له بالتواجد في المدن. ما يعين شؤون التسيير و القيادة و الإدارة حتى عن أبنائهم من غير الأمهات التركية**»[14].وهكذا يؤدي نسق التدهلز إلى الظلمة و الفناء ،فالشاعر لم يعد قادرا على مسايرة الوضع السياسي والاجتماعي مما افرز حالة من التلاشي والتشتت على مستوى الوعي والوجود ،على درجة أنه فقد توازنه النفسي.

❖ **دهاليز الظلم وموت المثقف.**

ترمز كلمة دهليز إلى الأنفاق المظلمة التي أقحم فيها الشعب الجزائري عنوة دون سابق إنذار،ولم يجد سبلا للخروج منها سوى الاقتتال و العدوانية التي نشبت بين أفراد المجتمع، كما أفرزت أوضاعا سياسية و اجتماعية و اقتصادية متردية، صار المثقف الجزائري الحامل لأفكار و مبادئ و آراء مخالفة لما هو مطروح في الساحة مجرما و بالتالي فهو مرفوض في الواقع لذلك يعبر الشاعر عن موقفه:« **أنا هذا المجرم الذي تمثل جريمته في فهم الكون على حقيقته و في فهم ما يجرى حوله قبل حدوثه،أتحول إلى دهليز مظلم متعدد السراديب و الأغوار،لا يقتحمه مقتحم مهما حاول و هذا عقاب للآخرين على تفـــاهتهم** »[15]،هذه هي حالة المثقف في الجزائر، فهو يعيش حاله مأساوية عنيفة و قاسية إذ تحول إلى رمز مظلم في عين المجتمع لأنه يرفض الاندماج و الخضوع، فالمثقف هو" **الشمعة**" التي ترمز إلى الإنسان الواعي الذي ينشغل بهموم شعبه و وطنه ولو على حساب حياته ؛ و بعبارة أخرى فهو الشمعة التي تحترق لكي تنير طريق الآخرين ،فالمحنة عامة و تغييرها صعب كون هذه المجتمعات يصعب عليها إدراك الحقائق و فهم الواقع ووعيه: « **عرف الشاعر أنه لا مطمح لاقتحام الدهاليز و السراديب،ويكفيه أنه أدرك أن قومه و معظم الأقوام الآخرين المحيطين بقومه فيما يسمى بالعالم الثالث أو النامي أغنام ، إن حاولوا اقتحام الدهاليز تاهوا إلى أبد الآبدين**»[16].يشير الكاتب من خلال هذا الملفوظ السردي على أن هؤلاء القوم ليس لهم عقول يفكرون بها للخروج من الأزمة التي يعيشونها،بل تحولت حياتهم إلى حياة الحيوانات التي يحكمها طابع القوة و الغريزة، فهم قوم إذا حاولوا تجاوز أزمتهم تاهوا في ظلمات الدهاليز،وذلك مردّه إلى نقص وعيهم و ضيق أفق آرائهم و قصر إدراكهم للواقع المعيش.

لقد عبّرت كلمة "الدهاليز" في الرواية عن واقع المثقف الجزائري الذي وجد نفسه تائها في مجتمع لا يعترف بالقيّم الإنسانيّة ولا بالمستويات الثقافية والعلميّة،وقد عبرت عن مجتمع طغت فيه المصالح الخاصة على المصالح العامة، و هو ما عانته شخصية "**الشاعر**" داخل الرواية، إذ لم تقوَ على المجابهة فقررت الخروج من البيت والتوجه إلى ساحة التجمع. إن عدم استطاعة الشاعر المثقف على تغير تلك الأوضاع السائدة في المجتمع أو حتى التأثير على من حوله،جعلته ينغمس مع جماعات و أناس لم يعدهم سابقا « **قرّر أن ينزل إلى المدينة أو بالأحرى أن يتتبع مصدر الأصوات ليعرف ماذا هناك،و ماذا يجري بالضبط ، فالمسألة مهماكان الأمر تعنيه مند قرر أن ينغمر و يخوض مع الخائضين بسببها حبيبة الروح، شمعة دهليز الشمعة الوحيدة التي انبثق نورها في دهليز**»[17].

و من هذه الرؤية تتعمق مأساة الشاعر وسط وضع أو فضاء يكتنفه الغموض و التعقيد، و هو ما عمّق إحساس المثقف بالغربة و التشظي تجاه واقع كله دهاليز « **فالواقع لا يمكن تغييره بسهولة،بل التغيير يتطلب إدراكا معرفيا تؤسس فيه الذات وعيا خاصا ينطلق من الأصول التاريخية،و التراث المعرفي العام،فالشاعر لم يستطع التجاوب و الانسجام مع الراهن،كونه يمتلك قيما أيدلوجية جعلته لا يقوى على مسايرة الوضع السياسي و الاجتماعي** »[18]، و هو مما ولد فيه حالة من التلاشي و الضياع، والتشتت على مستوى الوعي و الوجود إلى درجة أنه فقد توازنه النفسي،و أدرك بعمق إشكالية المثقف الذي كلما اقترب من الواقع كلما زاد اغترابه و تفاقم بؤسه، بسبب ما يحدث في الواقع من تناقضات يقول السارد على لسان شخصية الشاعر:« **لا يهم أن تكون شرقيا أو غربيا ، ففي الغرب يوجد الشرق، وفي الشرق يوجد الغرب إنما من تكون؟ هذه حالة الجزائري بين تولد واضطراب و إنني لمضطرب**»[19].إنها حالة نفسيّة تعبّر عن ذات تائهة في واقع مظلم غير قادرة على مجابهة نسق جديد مناقض للذي كبرت و تربت فيه ليواصل حديثه قائلا:« **قال الإشتراكيون كفى إمّا أن نتمركس و إمّا أن نترسمل،قال الرأسماليون إما مساجد و إما خمارات قال: اللائكيون كيف يتعلم أبناؤنا أصول الدّين في النهار وقدموا لهم في الليل الأفلام الخليعة، قال : المدافعون عن العربية إمّا عربية و إما فرنسية،قال المفرنسون: إما جزائر فرنسية و إلا لا جزائر أصلا ، نفقرها نجوعها، نفككها نسلمها للأجنبي**» [20] ثم يتساءل بعد كل هذا قائلا:« **من هم هؤلاء الناس الذين يلعبون كالبلهوانين؟ لما هم كذلك؟أهل فقط لأنهم ليسوا أصلاء؟ أم أنهم أنانيون إلى حد تقمصهم لكل الفئات و الشرائح و الأحزاب**»[21]كلها تساؤلات تحمل معاني الاستغراب والغربة داخل راهن فرضه هؤلاء الناس الذين فقدوا مرجعياتهم ،لكونهم ليسوا أصلاء و أنانيتهم دفعتهم إلى تقمص كل الأدوار و وممارسة المسؤوليات لتحقيق أهدافهم والوصول إلى مآربهم.

لم يستطع المثقف في الجزائر تغيير الأوضاع السائدة في المجتمع، أو حتى التأثير على من حوله بل راح يعيش حالة انشطار حادة أودّت به إلى نكران وجوده كمثقف فعّال و جعل الواقع هو المؤثر عليه « **فلقد كانت هذه الحالة بداية أولية لصور الإخفاق الاجتماعي للجزائر المستقلة. لقد أدت السياسة المتبعة و الحركة الاجتماعية السريعة التي عرفتها البلاد إلى إحداث خلل في بنية عقل و فكر الإنسان الجزائري إذ أن الإصلاحات التي سعت الدولة إلى تحقيقها فور خروج الاستعمار،كانت تهدف إلى إعادة الحيوية للأمة الجزائرية و تقويمها،لكن لم يفكر أي من السياسيين في الطريقة المثلى لتحقيق هذا المشروع .**»[22]

لقد عبّرت المراحل التي اعترت حياة -**الشاعر** – المثقف عن حقيقة أزمة المثقف وما عايشه وما يعيشه في وطنه ، جعلته يتوصل إلى بناء تصوير لحياة المجتمع الجزائري« **و هذا التصوير عمته تلك المراحل التاريخية و الحضارية التي مر بها الفكر الإنساني،فهو مجتمع تعددي فوحدته و انسجامه لا يمكن أن يقوما على أساس التشابه و التوحد**»[23]. فالمجتمع التعددي يتكون من عدّة جماعات تتميّز بهويتها الخاصّة، وقد تمكنت من إيجاد صيغة تآلف بين هذه الهوية الخاصة و العامة، إلاّ أن هذه المجتمعات التعددية لازالت تعاني من أزمات داخلية ، والفرد الجزائري يتسم بالتفرّد و التميّز في تكوينه و صفاته يقول الشاعر:« **من البعد الزمني هذا و من خلال ما رأيت و عشت أعلم أنه يصعب على أي كائن أن يكون جزائريا ولد جميع الشياطين و جميع الملائكة و جميع الجن ،ولد البحر و البر ولد الساحل و السهل و التل و الصحراء ، البربري العربي الفنيقي، الروماني، الوندالي الأبيض الزنجي، الأصفر، ولد الحماقة و الحكمة ولد الوطنية و الخيانة ، القاتل ، المقتول ، الجرح و الجريح و السيف الجارح. .**»[24] في الحقيقة هي لعنات أصيب بها الفرد الجزائري ماضيا و حاضرا جرّاء ما عاشه من ماضي مرير وما يعيشه من حاضر متأزم« **إن الجزائري ملعون كإنسان فهو متعدد الولاء الإثني، فيه البربري و العربي و الفنيقي و الروماني و الوندالي،كما يعرف بصفات الخيانة و القتل،كلها صفات تعبر عن مأساوية و سلبية هذا الكائن،فهو ملعون وحياته لعنة و عرفان و شقاء يصعب عليه حتى الالتفات إلى الوراء** »[25] فهذا الوراء- الماضي- كثبان من البطولات والانكسارات، وجبال من المآسي والآلام و بحور من الدّم وركام من الجروح و المتاعب وجرّاء كل هذا التحّمل جعل الفرد الجزائري يتسم بالقوة و الغلطة و عدم الانصياع إلى رأي الآخر،رغم أن الواقع لا يغيره سوى الفكر الجماعي بمعنى أن تكون الذات (الأنا) و(الآخر) معا « **ولهذا نستوعب جيدا تعاطف البطل الاشتراكي مع الجماهير الشعبية فهو يرى في هذا البديل الإسلامي خطوة ايجابية نحو معارضة السلطة** »[26]

وعلى الرغم من مرور أزيد من ثلاثة عقود من التحرر و الخروج من كيد الاستعمار إلا أن المجتمع لازال يعاني القهر واالعنف والاضطهاد، فبعد أول سياسة فعلية بإقامة انتخابات تعددية ، كشفت الأطراف السياسية المختلفة بالجزائر الديمقراطية على رؤاها الضيقة و المصلحة لا تتعدى حدود تياراتها و معتقداتها وتوجهاتها الحزبية ، و التي رأت بأن تتجمع وتقف على فكرة تخلص البلاد من التخلف و التفاوت الطبقي،إلا أن هذه الأطراف راحت تكشف عن حقدها للآخر،و تدعو إلى ردعه من قبل الجماهير و إفشال مشروعة و إحباط فعاليته أمام المجتمع .[27]

❖ **الأزمة السياسية و محنة المثقف .**

ظهرت محنة الشاعر كما صوّرتها الرواية محنة فكرية،كانت سببا في اغترابه و بؤسه و تشتته وضياعه،يقول الشاعر:«**ها أندا أحد أفراد هذا الشعب تمكّن من المعرفة و الاضطلاع و يقال عنه مثقف،ها أندا على حافة النهر، إمّا أن أنزل مع النازلين،و إمّا أن أظل متفرجا إلى أن يقذفوني بالحجارة ، لا يهم لون الماء الذي يستحمون فيه أو طبيعته،إنما يهم أنهم يستحمون مستغرقين في ذلك،و أنا لا يمكني أن أكون مثلهم إلا إذا كنت معهم هذه قاعدة سياسية و اجتماعية** »[28]، وعدم مقدرة الشاعر على المواجهة و التأثير في الآخرين جعله يستسلم للأمر الواقع و يقف متفرجا على ما يحدث في هذا الوطن : « **إنني لن أموت من أجل الوطن الجزائري،لأن هذا الوطن لا وجود له،فإني لم أعثر عليه،و سألت التاريخ و سألت الأحياء و الأموات و زرنا المقابر،فلم يحدثني عنه أحد** »[29]. كلها تساؤلات و استفسارات حملت هموم المثقف، وجعلته يعيش غريبا في مجتمعه الأصلي،و هو ما أفضى به إلى أن يكون أوّل من يقتل و يغتال :" **أيها الشهيد أيها الشاعر الشهيد،أيها الوزير الشهيد أيها الشهيد الأول في تاريخ الجمهورية الإسلامية** "[30].

إن الأزمة السياسية التي مرت بها الجزائر في التسعينيات حوّلت يوميات المثقف الجزائري إلى مآسي مهولة،و هذا مما جعله متابع يوميا:« **لاحظت أنني مراقب منذ أول يوم،منذ دخلت الجامع الكبير و صليت العصر صبحا،كانا إثنين يتبدلان رصدي** »[31]. فهذا الترصد سيجعل من الشاعر ذلك الشخص المتابع و المتهم في العديد من القضايا،وسيحاكم بالعديد من التهم:

التهمة الأولى: الاتصال بالأشرار الذين يعملون على قلب النظام الجمهوري بالجزائر و مساعدتهم بالمال و إرسال الكتب إليهم في السجن.

التهمة الثانية: السحر و الشعوذة ، و إغراء فتاة في زهر العمر،و إفساد علاقاتها بالأجهزة التي تستخدمها.

التهمة الثالثة : الزندقة و الانتصار للمعتزلة،و القول بخلق القرآن و حدوثه.

التهمة الرابعة :رفض التحدث إلى أجهزة الأمن في المسجد بحجة أنه مفكر و باحث و لا يحق له أن يُعامل مثل عامة الناس.

التهمة الخامسة:معاداة الغرب بصفة عامة،و فرنسا بصفة خاصة أي التنكر لفرنسا التي أعدته بأن يكون أحد إطارات الجزائر.

التهمة السادسة: تحمل مسؤولية البوح بموقفه اتجاه الطاغوت.

وقد انتهت أحداث الرواية بموت الشاعر الشهيد ممزقا بالخناجر و الرصاص «**ها هو مسجي، جثة هامدة،وسط جموع و حشود تملأ المقبرة و تهتف،لا إله إلا الله محمد رسول الله،عليها نحيا و عليها نموت و عليها نلقى الله**"[32].

الرواية في نهايتها لم تنسب العملية الإرهابية إلى جهة محددة ،و إنما أشارت إلى إطفاء شمعة المثقف الوطني ،كون التّهم المنسوبة إليه كانت متعددة ومتنوعة،« **وهذا الموت الإرادي لبطل الرواية وهو المثقف والشاعر معا ، نتج عن أن الناس لا يحسون بوجوده ، فلا يستنيرون بعقله ، ولا يستدفئون بقلبه ، وهو الذي يعرف ما سيحدث لأنه يرى المقدمات أمامه ويستطيع استخلاص النتائج** »[33]

خاتمة:

وبعد هذا العرض، خلُصنا من إلى مجموعة من النتائج نجملها فيما يلي:

1- لقد حاول الطاهر وطار في روايته هذه تصوير النسق الثقافي الجديد الذي فرضته الأوضاع الاجتماعية والسياسية التي آلت إليها البلاد في فترة التسعينيات وتجسيد الوضع الذي آل إليه المثقف الجزائري ضمن هذا النسق الجديد.

2- لقد كشفت الرواية عن واقع المثقف الجزائري المريض وحددت أسباب مرضه وتشتته في فترة اختلطت فيها موازيين القوى وتباينت الحياة السياسية و الاجتماعية والثقافية في نسق ثقافي جديد على المجتمع الجزائري .

3- رسمت الرواية خوف المثقف الجزائري و قلقه و حيرته و شخّصت حالته أثناء الأزمة التي وجد نفسه مدفوعا إليها بدون سابق إنذار،كما اتهم بالعديد من الاتهامات فكان مصيره الموت .

4- إن مشهد مقتل الشاعر يلخّص لنا مجموع الأيدلوجيات النابعة من حقد أيدلوجي مصدره اختلافهم في نزوع فكري رافض للسلطة الحاكمة،بحيث يأبى مناصرة الأيدلوجيات الدينية أو الحرب تحت لواء غير موافق لمبادئه و قناعاته النافرة من الجماعة الحاملة للسلاح كفئة متطرفة أصولية .

4- لقد جسّد الطاهر وطار حياة الفرد الجزائري من خلال حياة الشاعر الذي عاش حالات من التشتت والضياع ، والخوف والفزع جرّاء ما لقيه من الجماعات الإسلامية التي كانت تلاقيه في

الطريق وفي أي مكان ،وهو ما جعله يعيش في دوامة مليئة بالفزع والقلق النفسي ليحاكم في النهاية وهو بريء من كل التهم المنسوبة إليه،إلا أن مصيره كان الموت الذي فصل فيه الملثمون الست بعد المحاكمة .

قائمة المصادر والمراجع:

1. [1] - ينظر: عز الدين المناصرة ، علم التناص و التلاص،(نحو منهج عنكبوتي تفاعلي) ، دار مجدولاي ، ط3-2011، ص31.
2. [1] - الطاهر وطار، الشمعة والدهاليز، موفم للنشر و، الجزائر،د ط ،2007،.ص18.
3. [1] - فتحي بوخالفة التجربة الروائية المغاربية -دراسة في الفعاليات النصية وآليات القراءة-عالم الكتاب الحديث ط1-2010 ص180.
4. [1] - عبد الرزاق بن دحمان ،الرؤية التاريخية في الرواية الجزائرية المعاصرة، روايات الطاهر وطار أنموذجا،أطروحة دكتوراه ،إشراف:د/الطيب بودربالة، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2012 -2013،ص134.
5. [1] - عبد القادر رابحي:أيدلوجية الرواية و الكسر التاريخي،أعمال الملتقى الخامس الأدبي و الأيدلوجي في رواية التسعينات،قسم اللغة العربية و آدابها،المركز الجامعي سعيدة، 2004،ص49
6. [1]- حاتم الورفلي : بول ريكور ، الهوية والسرد ن دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ،ط1-2009،ص88
7. [1] - أومقران حكيم،المثقف و أزمة الذات في رواية الشمعة و الدهاليز للطاهر وطار،مجلة التبيين،العدد،16 ،2000،ص46.
8. [1] - فطيمة عماري تجليات الثنائية الضدية في رواية الشمعة و الدهاليز للطاهر وطار- الدراسة في الرواية: دط-دت ، ص[18]2

التهميش:

[1] - ينظر: عز الدين المناصرة ، علم التناص و التلاص،(نحو منهج عنكبوتي تفاعلي) ، دار مجدولاي ، ط3-2011، ص31.

[2] - الطاهر وطار، الشمعة والدهاليز، موفم للنشر و، الجزائر،د ط ،2007،.ص18.

[3] - عز الدين المناصرة ، علم التناص و التلاص،ص43.

[4] - فتحي بوخالفة التجربة الروائية المغاربية -دراسة في الفعاليات النصية وآليات القراءة-عالم الكتاب الحديث ط1-2010 ص180.

[5] - عبد الرزاق بن دحمان ،الرؤية التاريخية في الرواية الجزائرية المعاصرة، روايات الطاهر وطار أنموذجا،أطروحة دكتوراه ،إشراف:د/الطيب بودربالة، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2012 -2013،ص134.

[6] - المرجع نفسه ،ص 136.

[7] -الرواية ،ص78.

[8] - عبد القادر رابحي:أيدلوجية الرواية و الكسر التاريخي،أعمال الملتقى الخامس الأدبي و الأيدلوجي في رواية التسعينات،قسم اللغة العربية و آدابها،المركز الجامعي سعيدة، 2004،ص49

[9] -الرواية،ص139.

[10]- حاتم الورفلي : بول ريكور ، الهوية والسرد ن دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ،ط1-2009،ص88

[11] -الرواية ،ص 11

[12] - مها حسن القصراوي،الزمن في الرواية العربية،ص17

[13] -الرواية ،ص25

[14] -الرواية،ص33

[15] -الرواية ،ص170

[16] -الرواية ،ص22

[17] -الرواية، ص15

[18] - ينظر: عبد الرزاق بن دحمان،الرؤاية التاريخية في الرواية الجزائرية المعاصرة،ص139.

[19] -الرواية ،ص07.

[20] -الرواية ،الصفحة نفسها.

[21] -الرواية ،ص50.

[22] - أومقران حكيم،المثقف و أزمة الذات في رواية الشمعة و الدهاليز للطاهر وطار،مجلة التبيين،العدد،16 ،2000،ص46.

[23] - عبد الرزاق بن دحمان،الرؤية التاريخية في الرواية الجزائرية،ص142.

[24] - الرواية ،ص71.

[25] - أومقران حكيم، المثقف و أزمة الذات في رواية الشمعة و الدهاليز، ،للطاهر وطار. ص49.

[26] - عبد الرزاق بن دحمان،الرؤية التاريخية في الرواية الجزائرية المعاصرة،ص136.

[27] - ينظر:أومقران حكيم،المثقف و أزمة الذات في رواية الشمعة و الدهاليز ،ص49.

[28] -الرواية ،ص181.

[29] -الرواية ،ص184.

[30] -الرواية ،ص211.

[31] -الرواية ،ص180.

[32] -الرواية ،ص211.

[33] - فطيمة عماري تجليات الثنائية الضدية في رواية الشمعة و الدهاليز للطاهر وطار- الدراسة في الرواية: دط-دت ، ص218.